مناهج البحث اللغوي

بدأ تاريخ علم اللغة الحديث باكتشاف اللغة السنسكريتية على يد السير وليام جونز الانجليزي في عام ١٧٨٦م .

ثم بدأ العلماء بعد ذلك يبحثون اللغة بمناهج مختلفة مستمدة كلها من طبيعة اللغة نفسها ، فاستخدموا أولا المنهج المقارن ثم المنهج التاريخي ثم المنهج الوصفي .

أولا : علم اللغة المقارن : Comparative Linguistics

يتناول علم اللغة المقارن مجموعة لغات تنتمي إلى اسرة لغوية واحدة أو فرع من أفرع الأسرة اللغوية بالدراسة المقارنة .

وعلم اللغة المقارن أقدم مناهج علم اللغة الحديث ، وبه بدأ البحث اللغوي عصر ازدهاره في القرن التاسع عشر .

ويعتمد البحث المقارن على وجود تصنيف واضح للغات إلى أسرات لغوية ، ولم تكن القرابة بين اللغات معروفة على نحو علمي دقيق إلى أن اكتشفت اللغة السنسكريتية في الهند .

وأهم نتيجة أسفر عنها تطبيق المنهج المقارن هو تصنيف اللغات وربط بعضها ببعض ، فقد ثبت من المقارنات بين السنسكريتية والأغريقية التي قام بها شليجل وفرانزبوب وغيرهما أن هناك أسرة لغوية واحدة تضم اكثر اللغات التي عرفتها المنطقة الممتدة من الهند إلى اوربا اطلقوا عليها اسم (فصيلة اللغات الهندية الاوربية) ، وقد قام علماء اللغة ببحث العناصر المختلفة لكل لغة من هذه اللغات ولا سيما في أقدم نصوصها ، وذلك لاعادة بناء اللغة الأم التي خرجت عنها هذه اللغات كلها .

وطبق العلماء المنهج نفسه على طائفة أخرى من اللغات اكتشفوا ما بينها من سمات مشتركة فأطلقوا عليها اسم (فصيلة اللغات السامية) والتي نفضل

تسميتها بـ (اللغات الجزرية) ، وتشمل اللغات الاكادية (الآشورية والبابلية) واللغات الكنعانية (العبرية والفينيقية) واللغات الآرامية واللغة العربية الشمالية واللغة العربية الجنوبية واللغة الحبشية .

واكتشف اللغويون أيضاً صلات القرابة التي تربط (اللغات الحامية) المتمثلة في اللغة المصرية القديمة واللغة القبطية الحديثة والبربرية .

ويتناول علم اللغة المقارن دراسة الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية في اللغات المنتمية إلى اسرة لغوية واحدة .

فيبحث من الناحية الصوتية الأصوات الموجودة في هذه اللغات محاولا التوصل إلى قواعد مطردة تفسر التغيرات الصوتية التي طرأت على مدى الزمن فانقسمت اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات كثيرة .

ويتناول في بناء الكلمة كل ما يتعلق بالأوزان والسوابق واللواحق التي تدخل في علم الصرف .

أمّا في بناء الجملة فيتناول دراسة الجملة الخبرية فعلية كانت أو اسمية ، والاستثناء والعدد والاستفهام وكل ما يدخل في باب النحو .

ويتناول أيضاً دلالة الألفاظ وما يتعلق بتاريخ الكلمات وتأصيلها .

ولابد من الاشارة هنا إلى أن اللغويين العرب قد عرفوا أن هناك قرابة بين العربية والعبرية والسريانية ، وشبهوا هذه القرابة بقرابة لهجات اللغة الواحدة.

قال الخليل بن أحمد (١) :

(وكنعان بن سام بن نوح ينسب اليه الكنعانيون ، وكانوا يتكلمون بلغة تقارب العربية) .

وقال ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) (٢) :

(الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرية والعربية التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير ، واحدة تبدلت بتبدل مساكن اهلها) ..

---

(١) العين : ١/٢٠٥

(٢) الأحكام في أصول الأحكام : ١/٣٠

وقال السهيلي (ت ٥٨١هـ) (١) :

(وكثيراً ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي ، أو يقاربه في اللفظ) .

ثانياً: علم اللغة التأريخي : Historical Linguistics

يقوم هذا المنهج على دراسة تطور اللغة الواحدة في مراحلها المختلفة عبر القرون ، معتمداً على النصوص المدونة ، فيعمد إلى تتبع الظاهرة اللغويةمن أقدم العصور التاريخية إلى أحدثها ، مسجلا التغيرات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي لحقت هذه الظاهرة أو تلك،ثم يبين سر هذه التغيرات وأسبابها ونتائجها ، ومن هذا يتضح أن هذا المنهج منهج يستعيد ماضي اللغة ويهتم بتاريخها عن طريق النصوص القديمة .

وقد أطلق دي سوسير على علم اللغة التاريخي اسم (دياكروني : Diachronic) ومعنى هذا المصطلح : (خلال الزمن) أو (متعاقب) .

علم اللغة التاريخي أو التطويري يدرس اللغة من خلال تغيراتها المختلفة، فهو بذلك يشبه علم الجيولوجيا ، فكلاهما علم تاريخي .

وتغير اللغة عبر الزمان والمكان خاصة فطرية في داخل اللغة ، فاللغة هي في كل لحظة بناء حاضر ، ونتيجة ماض ، وهي حركة متطورة .

والتغير اللغوي يسير في كل الاتجاهات ، في الأصوات والتراكيب الصرفية والنحوية والدلالات ولكنه لا يحدث بدرجة واحدة ، ولا يخضع لنظام معين ثابت (٢) .

ثالثاً: علم اللغة الوصفي : Descriptive Linguistics

يتناول علم اللغة الوصفي بالدراسة العلمية لغة واحدة أو لهجة واحدة في زمن بعينه ومكان بعينه .

---

(١) التعريف والاعلام : ١١.

(٢) علم اللغة بين التراث والمعاصرة: ٦٥.

ومعنى هذا أن علم اللغة الوصفي يبحث المستوى اللغوي الواحد من جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية .

لقد ظل العلماء يبحثون اللغات في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين بالمنهج المقارن ، ولم يكن هناك تصور واضح لامكان بحث اللغة الواحدة أو اللهجة الواحدة على نحو علمي دقيق ، ولكن الباحث السويسري دي سوسير أثبت بدراساته في نظرية اللغة ووظيفتها امكان بحث اللغة الواحدة وصفياً أو تاريخياً ، وهو أول من دعا إلى تطبيق المنهج الوصفي في دراسة اللغة .

وقد اطلق دي سوسير على علم اللغة الوصفي: (سانكروني: (Synchronic) ومعناه : علم اللغة التزامني .

وقد يطلق على (علم اللغة الوصفي) مصطلح آخر هو (علم اللغة التركيبي: Strutural Linguistics:) .

والمنهج الوصفي هو الذي يسود الآن في علم اللغة الحديث ، لأن المظهر التزامني للغة المنتمي إلى جماعة المتكلمين هو الذي يمثل ، وحده، الحقيقة الواقعة لكل نشاط لغوي .

وما دامت اللغة في حد ذاتها هي نظام أو نسق ، وما دامت تؤدي وظيفتها بوصفها نظاماً رمزياً ، فلابد من التسليم بانها لا تنطوي في ذاتها على أي بعد تاريخي .

وعلى ذلك فالتناول التاريخي للظاهرة اللغوية ليس تناولا علمياً ، أمّا المنهج الوصفي فهو المنهج الصالح لدراسة اللغة على اساس موضوعي .

وهذا المنهج العلمي الموضوعي بالاضافة إلى ذلك يحقق فائدة عملية ذات نفع عاجل ، وهي تعليم الناس اللغات الأجنبية ، وتعريفهم الطريقة الصحيحة لاستخدام لغاتهم (١) .

(١) اللغة بين التراث والمعاصرة: ٦٧- ٦٨.
وينظر : لغات البشر : ٧٤ .